



شعب "تشيوا" CHEWA PEOPLE في "مالاوي" و"زامبيا"

د. أشرف فؤاد عثمان أدهم / مصر

الأشمل ليشمل كل الشعوب التي تعيش حول بحيرة مالاوي. ويتميّز شعب "تشيوا" بتمسُّكه بعاداته وثقافته المتوارثة، وتمسُّكه بلغته المعروفة باسم "تشيشيوا"، على الرغم من أنّ اللغة الإنجليزية كانت اللغة الرسمية منذ عام 1968 لظروف الاحتلال الإنجليزي لمالاوي، حتى إنّ العديد من أنظمة التعليم، وبرامج الإذاعة، والعديد من الجهات الاداريّة، ما تزال تتحدث لغة "تشيشيوا" حتى الآن (1).

الجغرافيا والبيئة

تُعدُّ بحيرة مالاوي، والتي تقع داخل الوادي المتصدع العظيم في جنوب وسط أفريقيا، الموطن الرئيس لشعب "تشيوا". وتعدُّ البحيرة واحدة من أبرز سمات الطبيعة وأهمها في النشاط السياحي وصيد وتصنيع الأسماك. وتقع المنطقة الجنوبية لبحيرة مالاوي في الوديان المنخفضة.

يوجد في جنوب شرق أفريقيا حوالي 1.5 مليون نسمة من شعب "تشيوا"، معظمهم في مالاوي، ومجموعه أخرى موزّعة بين زامبيا وموزمبيق. ويشكل شعب "تشيوا" مجموعة عرقية من شعب "بانسو" في الكونغو الديمقراطية، والتي هاجرت إلى وسط مالاوي وأجزاء من شمال شرق زامبيا، لكثرة الصراعات بسبب التنافس على الأراضي والموارد الطبيعيّة بينهم والشعوب المجاورة، وذلك خلال الفترة بين القرنين الخامس والسادس عشر. ويتركز شعب "تشيوا" حالياً بوسط مالاوي، حول مدينة "ليلونجوي" العاصمة ومناطق متفرقة حول بحيرة مالاوي، وفي مشنوي وتشيو في الجنوب. وينقسم شعب "تشيوا" إلى عشيرتين رئيسيتين هما: "فيري" و"الباندا"، وترتبط "فيري" مع الملوك والأرستقراطيين، و"باندا" مع المعالجين والمتصوفة. ويسمون أنفسهم شعب "تشيوا"، أو "نيانجا"، ومعناها "البحيرة"، وهي تشير إلى المعنى

أو بعض الحيوانات التي لها مكانة وقدسية عندهم، والرقص هو الجسر بين الأحياء وأولئك الذين ماتوا، ويعتقد أنّ الأشخاص المشاركين في الرقص يتواصلون مع "أرواح الأسلاف" كجزء من الدين. وتعتبر الرقصات من مظاهر الاحتفالات المهمة، مثل حفلات الزفاف، أو بداية جمع المحصول، أو الجنازات، ويتفاعل معها كل أفراد المجتمع رغم ما يحيط بها من مظاهر الغموض والإثارة(2).

يعتقد شعب "تشيوا" أنّ "كوتا" أجاز لأرواح أسلافهم بالعطاء للبشر ببعض عطاءات الحياة، مثل الخصوبة، والنجاح، والازدهار، إلخ. ويُنظر إلى أرواح الأسلاف أيضًا على أنها حرّاس العادات والتقاليد، ويمكن أن تسبّب المصائب والأمراض لمعاقبة أولئك الذين لا يتصرّفون وفقًا لهذه العادات والتقاليد. ويقوم الراقصون الملثّمون بالأقنعة بأداء العديد من الأغاني والرقصات التي تهدف إلى الإشادة بالقيم التقليدية، ويمثّل كل قناع نوعًا من السلوك. على سبيل المثال، يمثل "القناع الأصفر" ويسمى "جولي بيرى" الرجل الطيّب، الذي يتصرّف بأمانة، والذي يحب الجميع، و"القناع الأحمر" ويسمى



بحيرة مالوي

ثقافة وتقاليد شعب "تشيوا" الإله وأرواح الموتى والأقنعة:

يؤمن شعب "تشيوا" بأنّ كل الكائنات الحيّة خلقها الله، والمسمى عندهم "كوتا" بمعنى الكلمة "القوس الكبير"، أو "قوس قزح في السماء"، وأنه لا بد من وجود واسطة بين "الله" أو "كوتا" وبين البشر، وبالعكس بين البشر والله، وهذه الواسطة هي أرواح الأسلاف، وكانت بداية الخلق على جبل "كابرينتوا"، الذي يقع على الحدود مع ملاوي وموزامبيق. وتلعب أرواح الأسلاف وأرواح الكائنات الحيّة الأخرى دورًا مهمًا في سير الأحداث في المجتمع الحالي للقبيلة، من خلال كونها على اتصال دائم بعالم الأحياء، وذلك من خلال الرقصات عن طريق أفراد الجمعيات السريّة أو "نياو" البارعين في رقصهم، وتصل بهم في النهاية إلى الشعور بالاتحاد مع الروح، ويرقصون ببراعة وهم يرتدون زيّ الأجداد، وأفرع وأوراق الأشجار، والأقنعة التي تمثل أرواح الأجداد،



◀ قناع "جولي واموكولو"



كنيسة في إحدى قرى تشيوا

للمسيحية في جميع أنحاء مالوي، وغالبًا ما كان يُطلب من الملاويين الذين تحولوا إلى المسيحية من أفراد القبائل "قطع جميع الروابط مع أفراد تشيوا الآخرين". ومن المعتقد أنّ المسيحية بين أفراد "تشيوا" قد ازدادت جزئيًا بسبب تأثير التبشير الهولندي منذ منتصف الثمانينات. وقد أصبح شعب "تشيوا" من بين أكثر الناس استجابةً للإنجيل في العالم، ولقد استقبلوا المبشرين بالترحاب والسرور، ومع ذلك، فإنّ لغة وتقاليد وعادات شعب "تشيوا" كانت تبدو دائمًا عميقة الجذور بين هؤلاء الناس، ولا يبدو أنّ تغيير معتقداتهم الروحية قد أدّى إلى استبعاد مراسمهم التقليدية، ربما ظاهريًا فقط(5).
عبد شعب "تشيوا" أرواح الأسلاف، للتقرب إلى الإله الأعظم، وقد تمّ استبدالها حاليًا بالمسيحية باعتبارها الدين السائد بين الـ"تشيوا"، بعد حملات التبشير المتكررة خلال فترة الاستعمار وما بعدها أيضًا، ومع ذلك، فإنّ معظم الناس في "تشيوا" في أوقات المرض، أو القلق، أو أيّ مواقف صعبة، يزورون طبيب الأعشاب، أو يلجؤون للعلاج بالسحر، والرقص بالأقنعة، ممّا

"جولي واموكولو"، يمثل الرجال الذين يمارسون السحر، ويخافهم الجميع، و"القناع الأسود" يمثل الظلام والحزن، ويهابه ويحترمه الجميع. أمّا "قناع الفيل"، فهو القناع الأكثر أهميّة على الإطلاق، ولا بدّ من وجود أربعة راقصين أقوى لتحريك هذا الهيكل لأنّ الفيل هو الحيوان الأكثر أهميّة للـ"تشيوا"، بسبب حجمه الكبير وقوّته البالغة، لذلك لا يستعمل هذا القناع إلا في جنازات الرؤساء.

أمّا "قناع الثعبان" فهو ثاني أهم قناع، ويتم استعماله مع اثني عشر رجلًا من الراقصين، لرفعه والرقص به. ويتم استعماله في جنازات أحد أعضاء "جماعة النيو"، أمّا "قناع الأسد" فهو يشير إلى الروح الشريرة للأسلاف، التي تهاجم وتقتل الناس، لذلك يهرب بعض الناس بمجرد رؤيته يقترب منهم، لأنّ شعب "تشيوا" يعلم أنّ الأجداد لا يجب أن يزعمهم أحد، مثلما لا يجب إزعاج الأسد، لأنه قد يهاجم الناس بسبب عدم احترامهم(3).

وفي الواقع، فإنّ الامتثال للقيم التقليدية يضمن رضا "كوتا" والحماية من جميع أنواع المحن. ويتم تنفيذ أكثر من 30 رقصة مختلفة خلال أيّ مهرجان. وتذكر بعض الأخبار في مالوي أنّ ملكة إنجلترا حضرت أحد هذه الاحتفالات وأنبهرت بالرقص والملابس والموسيقى بشكل كبير(4).

التبشير بالمسيحية

أدّى وجود المبشرين المسيحيين منذ بداية القرن التاسع عشر إلى وجود أعداد كبيرة من المتحولين

يؤكد استمراريّة قناعتهم بديانتهم ومبادئهم المتوارثة عن الأسلاف حتى بعد اعتناقهم المسيحيّة(6).

اللغة

يستخدم شعب "تشيوا" لغة "تشيوتشيوا"، وتستخدم الأبجديّة الرومانيّة في كتابتها، وترتبط هذه اللغة ارتباطاً وثيقاً بلغات البانتو الأخرى، ولا يتم التحدث بهذه اللغة في مالواي فقط، ولكن يتم استخدامها في البلدان المجاورة في زامبيا وتزانيا وموزامبيق، ولأنّ لغة الـ"تشيوا" أصبحت اللغة المشتركة في منطقة بحيرة مالواي، فإنها غالباً ما تسمى "نيانجا" من كلمة "تشيوجانجا"، وتعني "لغة البحيرة". العديد من القبائل الأصغر مثل قبائل "نجوني"، التي تتحدّث بلغة "نجوني"، ومثل شعب "الزولو" تتحدّث لغة "نيانجا" بجانب لغتهم الأصليّة. وقد أصبحت لغة "تشيوا" أو "نيانجا"، هي اللغة المعترف بها رسمياً في مالواي، ويتم تدريسها في المدارس منذ سن مبكرة، ويتعلم الأطفال التحدث بها إلى جانب لغتهم القبليّة الإقليميّة، بالإضافة إلى اللغة الإنجليزيّة(7).

مجتمع أمومي

النسب والميراث والخلافة تتمّ بنظامٍ أموميّ، والإيرادات الواردة للأسرة غالباً ما تكون تحت تصرّف الأم. وتعدّد الزوجات هو نظام طبيعي لضمان استقرار المجتمع "من وجهة نظرهم"، ونظام القرابة الأمومي يعني أنّ الميراث يتم

تمريره عبر خط الأنثى. ويعتبر الأطفال أعضاءً في سلالة الأم، وبالتالي يكونون تحت إشراف أعمامهم، وهم "أخوات الأمهات". ويختار الشباب شركاءهم في الزواج بحريّة، ولكن مع ذلك، لا يمكن الاعتراف بهذا الزواج على أنه ساري المفعول دون موافقة الأعمام "أخوات الأمهات".

الطلاق شائع جداً في مالواي، وقد اعتاد المجتمع على تعدد الزوجات. وحاليّاً فإنّ أكثر من ثلث الذكور في مالواي ممّن هم فوق سن الأربعين لديهم أكثر من زوجة واحدة(8).

مجتمع "نياو"

كلمة "نياو" تعني "قناع"، وهو مجتمع سرّي يشكل جزءاً من شعب "تشيوا"، وهي في الأصل مجموعة عرقيّة من شعب "بانتو" من وسط وجنوب أفريقيا. ويتألف مجتمع "نياو" من أعضاء على علم بعلوم الكونيات، والعلوم الدينيّة للسكان الأصليين، ومن مبادئهم أنّ أعضاء "نياو" من الرجال فقط، ولهم "أدوار طقسيّة مختلفة" في المجتمع بحسب الجنس والعلم والأقدميّة. ويعمل أفراد مجتمع "نياو" على مستوى كل قرية، وهم جزء من شبكة واسعة من "مجتمع نياو الأكبر" في وسط وجنوب مالواي، وشرق زامبيا، وغرب موزمبيق. وأثناء أداء الأتقعة من جانب أفراد "نياو"، غالباً ما تهرع النساء والأطفال إلى البيوت، أو يتابعون من على مسافة بعيدة، وذلك "عندما يهددهم أحد أعضاء الجماعة"، لأنّه في تلك اللحظة، أثناء أداء الطقوس، يُفهم



في القرية، نجد أنّ النساء يرتدين غطاء للرأس وبلوزة وسروالاً طويلاً حتى القدم وحذاءً خفيفاً. وملابس المرأة دائماً مجهزة لحمل الأطفال. وتتميّز ملابس المرأة دائماً بالألوان الزاهية، خاصة السروال الذي يميل دائماً للون الأحمر والزيتوني بنقوش هندسيّة. ويرتدي الرجال "التشيرتات" الواسعة الطويلة حتى أعلى الركبة وسروالاً أو بنطلوناً وحذاءً خفيفاً(10).

الطعام

الغذاء الأساسي لشعب "تشيوا" هو "نسيما"، ويتكوّن من دقيق الذرة المخلوط مع الماء لصنع عصيدة سميكة، وعادةً ما يتم تقديمها مع الفاصولياء الخضراء، أو الخضار الورقيّة مثل السبانخ، وإذا كانت الأسرة ذات دخل جيد، فإنه يتم تقديم اللحوم مع الخضار جنباً إلى جنب مع "الكاسافا"،*، أو الأرز كمصدر للكربوهيدرات، وذلك مع الحد الأدنى من الصلصة. وعادة تكون الوجبة الرئيسيّة وقت العشاء. ويحظر أكل البيض على النساء الحوامل لاعتقادهم بالتأثير السيئ للبيض على الحمل(11).



أَنَّ "راقصو نياو المقنعون" هم أرواح الموتى، وقد تتصرّف كأرواح، وتنفعل ما تريد حتى الجرائم أحياناً، وقد تفلت من العقاب باعتبارها روح من أرواح الأسلاف، وليس من البشر(9).



◀ نموذج لقناع نياو

الملابس

بالنسبة للملابس في المدن، فإنّ الرجال والنساء يرتدون الأزياء الحديثة مثل الأزياء في كافة مدن العالم الحديث. وبالنسبة للملابس المحليّة



References

- (1) The Peoples of the World Foundation،
Education for and about Indigenous Peoples، the
Chewa People،- 2018.
- (2) South World، Malawi. Journey into the Chewa
Cultural Heritage، 1 November 2017.
- (3) <https://en.wikipedia.org/wiki/Nyau>
- (4) "Some Changes in the Matrilineal Family System
among the Chewa of Malawi since the Nineteenth
Century" The Journal of African History، Vol. 24، No. 2:
The History of the Family in Africa، 1983.
- (5) The Peoples of the World Foundation and individual
contributors، 1999 - 2018. All rights reserved.
- (6) Profiles Menu، Orville Jenkins Home، Chewa
(Nyanja) of Malawi، 2018
- (7) <http://orvillejenkins.com/profiles/chewa.html>
- (8) WRITTEN BY: The Editors of Encyclopaedia Britannica،
See Article History
- (9) <https://en.wikipedia.org/wiki/Nyau>
- (10) Deion، Chewa Ethnic Group، 2018
- (11) <http://www.experiencemalawi.com/culture.html>
- (12) [https://www.everyculture.com/wc/Japan-to-Mali/
Chewa-and-other-Maravi-Groups.html](https://www.everyculture.com/wc/Japan-to-Mali/Chewa-and-other-Maravi-Groups.html)

من عاداتهم

عند تحية بعضهم بعضًا، يتصافح الرجال والنساء من الفئة العمرية نفسها بقوة، ولكن المعانقة ليست شائعة، وعندما يتلقى المرء ضيفًا فإنه من المعتاد إعداد الطعام، ويفضل أن يكون دجاجًا. ويعتبر رفض الطعام من جانب الضيوف تصرفًا فظًا لا يليق بعلاقات الحب والمودة والاحترام، حتى لو كانوا قد أكلوا بالفعل قبل ذلك. ومن المفترض أيضًا أن ينحني الشخص الأصغر سنًا أو ينظر إلى الجانبين، أو حتى يجلس القرفصاء على الأرض، عندما يقابل أحد الشيوخ في طريقه. والتقبيل في الأماكن العامة من التصرفات غير المقبولة، ويتم تشجيع الفتيات والفتيان على اللعب معًا حتى قبل البلوغ، ولكن يجب الفصل بينهم بعد البلوغ، وإن كان الاختلاط بين الرجال والنساء أصبح حاليًا من الأمور المعتادة خاصة في الحضر، ولكن ما تزال العادات والتقاليد الموروثة متبعة بقوة في القرية (12) ■

* نبات الكاسافا أو المنيهوت، هو نبات يستخرج من جذوره أو درناته نشا مغذي ويستهلك بكثرة في البلدان النامية خصوصًا في أفريقيا، وأمريكا الجنوبية كمصدر رئيس للسعرات الحرارية والكربوهيدرات، وهو يشبه البطاطا.

